الخالد. وفي طريقته قوله:

إخوتي لا تبعدوا أبدًا ... وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك، وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أيامًا قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدًا، ويجوز أن يكون: كلوا وتمتعوا كلامًا مستأنفًا خطابًا للمكذبين في الدنيا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾.

﴿اركعوا﴾ اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم، وقيل: ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة فقالوا: لا نجبي فإنها مسبة علينا، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»[1].

فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾.

﴿بعده﴾ بعد القرآن، يعني: أنّ القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده ﴿يؤمنون﴾. وقرئ: تؤمنون بالتاء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة عم يتساءلون مكية

وتسمى سورة النبا

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾.

﴿عم﴾ أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية، وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر. قال حسان رضي الله عنه:

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال: عن أي شأن يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد[3]. جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء، هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية[4]. ﴿يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضًا، أو يتساءلون غيرهم من رسول الله ﷺ والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم، والضمير لأهل مكة. كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء.

عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾.

﴿عن النبا العظيم﴾ بيان للشأن المفخم. وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت، ولا يخلو إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ: يتساءلون عن النبأ العظيم، على أن يضمر يتساءلون لأنّ ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر.

ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾.

فإن قُلْتَ: قد زعمت أنّ الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله: ﴿هم فيه مختلفون﴾! **قُلْتُ:** كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم من يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعًا، وكانوا جميعًا يسألون عنه. أما المسلم فليزداد خشيةً واستعدادًا، وأما الكافر فليزداد استهزاءً، وقيل: المتساءل عنه القرآن، وقيل: نبوّة محمد ﷺ وقرئ: يتساءلون بالإدغام، وستعلمون بالتاء.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

﴿كلا﴾ ردع للمتسائلين، هزؤًا، و﴿سيعلمون﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لأنه واقع لا ريب فيه، وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك.

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾.

ومعنى: ﴿ثم﴾ الأشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد.

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾.

فإن قُلْتَ: كيف اتصل به قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهادًا﴾[5]! **قُلْتُ:** لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر الطائف (الحديث رقم: 3026) وأخرجه أحمد في المسند: 4/218، وابن أبي شيبة 3/197، كتاب: الزكاة، باب: ليس على المسلمين عشور.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم 4/140.

(3) قال أحمد: وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم في قولها: وأبو زرع ما أبو زرع، إلى آخر حديثها.

(4) قال أحمد: لأنّ بعضهم يشك في البعث وبعضهم يبت النفي ومن ثم قيل: الضمير للمسلمين والكافرين، فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية، وإنما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر.

(5) قال أحمد: جوابه الأوّل سديد، وأما الثاني فغير مستقيم، فإنه مفرع على المذهب الأعوج في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلاً ثواباً وعقاباً بمقتضى إيجاب الحكمة، وقد فرغ من إبطال هذه القاعدة.

يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة، فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات، أو قيل لهم: ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلاً عبثًا، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدٍ إلى أنه عابث في كل ما فعل. مهادًا فراشًا. وقرئ: مهدًا. ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوّم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الأمير، أو وصفت بالمصدر، أو بمعنى: ذات مهد.

وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾.

أي: أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد.

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾.

﴿سباتًا﴾ موتًا، والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة، والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الأدواء. ولما جعل النوم موتًا جعل اليقظة معاشًا أي: حياة. في قوله: ﴿وجعلنا النهار معاشًا﴾[1] أي: وقت معاش تستيقظون فيه وتنقلبون في حوائجكم ومكاسبكم. وقيل: السبات الراحة.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾.

﴿لباسًا﴾ يستركم عن العيون إذا أردتم هربًا من عدو أو بياتًا له أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور.

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾.

﴿سبعًا﴾ سبع سموات. ﴿شدادًا﴾ جمع شديدة، يعني: محكمةً قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾.

﴿وهاجًا﴾ متلالئًا وقادًا. يعني: الشمس. وتوهجت النار إذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾.

المعصرات: السحائب إذا أعصرت، أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر. كقولك: أجز الزرع إذا حان له أن يجز، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض. وقرأ عكرمة: بالمعصرات، وفيه وجهان: أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، وأن تراد السحائب، لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها. كما تقول: أعطى من يده درهمًا، وأعطى بيده، وعن مجاهد: المعصرات الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السموات، وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكان السموات يعصرن أي: يحملن على العصر، ويمكن منه.

فإن قُلْتَ: فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح! **قُلْتُ:** الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال، وقد جاء أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب فإن صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر.

فإن قُلْتَ: ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصره فاعتصر! **قُلْتُ:** وجهه أن يريد اللاتي أعصرن. أي: حان لها أن تعصر أي: تغيث ﴿ثجاجًا﴾ منصبًا بكثرة، يقال: ثجه وثج بنفسه. وفي الحديث: «أفضل الحجّ: العجّ والثجّ»[2] أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي. وكان ابن عباس مثجًا يسبل غربًا يعني: يثج الكلام ثجًا في خطبته، وقرأ الأعرج: بحاحًا، ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجج في الوادي.

لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾.

﴿حبًا ونباتًا﴾ يريد ما يتقوّت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش. كما قال: كلوا وارعوا أنعامكم. والحبّ نو العصف والريحان.

وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾.

﴿ألفافًا﴾ ملتفةً ولا واحد له كالأوزاع والأخياف. وقيل: الواحد لف. وقال صاحب الإفليد: أنشدني الحسن بن علي الطوسي:

جنة لف وعيش مغدق ... ونداميّ كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف، وما أظنه واجدًا له نظيرًا. من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار. ولو قيل: هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولاً وجيهًا.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾.

﴿كان ميقاتًا﴾ كان في تقدير الله وحكمه حدًّا توقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حدّ للخلائق ينتهون إليه.

يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾.

﴿يوم ينفخ﴾ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان. ﴿فتأتون أفواجًا﴾ من القبور إلى الموقف أممًا كل أمّة مع إمامهم، وقيل: جماعات مختلفة، وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور»، ثم أرسل عينيه وقال: «تحشر عشرة أصناف من أمّتي: بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عميًا، وبعضهم صمًا

---

(1) سورة النبأ، الآية: 11.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران (الحديث رقم: 2998).

بكمًا، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتنًا من الجيف، وبعضهم ملبسون جبابًا سابغةً من قطران لازقة بجلودهم. فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصمّ البكم فالمعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم، وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشدّ نتنًا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء»[1].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾.

وقرئ*: وفتحت بالتشديد والتخفيف، والمعنى: كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة، كقوله: ﴿وفجرنا الأرض عيونًا﴾[2] كأن كلها عيون تتفجر. وقيل: الأبواب الطرق والمسالك، أي: تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقًا لا يسدّها شيء.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فكانت سرابًا﴾ كقوله: ﴿فكانت هباءً منبثًا﴾[3] يعني: أنها تصير شيئًا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾.

المرصاد: الحدّ الذي يكون فيه الرصد، والمعنى: أن جهنم هي حدّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب، وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين. وعن الحسن وقتادة نحوه قالا: طريقًا وممرًّا لأهل الجنة. وقرأ ابن يعمر أنّ جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأنّ جهنم كانت مرصادًا للطاغين. كأنه قيل: كان ذلك لإقامة الجزاء.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

قرئ*: لابثين ولبثين واللبث أقوى؛ لأنّ اللابث من وجد منه اللبث، ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه. ﴿أحقابًا﴾ حقبًا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك، ألا ترى إلى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير. وقيل: الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا، ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب، وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالاً عنهم، يعني: لابثين فيها حقبين جحدين. وقوله:

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا﴾ تفسير له والاستثناء منقطع، يعني: لا يذوقون فيها بردًا وروحًا ينفس عنهم حر النار، ولا شرابًا يسكن من عطشهم. ولكن يذوقون فيها حميمًا وغساقًا. وقيل: البرد النوم. وأنشد:

فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردًا

وعن بعض العرب: منع البرد البرد.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾.

وقرئ*: غساقًا بالتخفيف والتشديد، وهو ما يغسق. أي: يسيل من صديدهم.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وفاقًا﴾ وصف بالمصدر أو ذا وفاق، وقرأ أبو حيوة: وفاقًا فعال من وفقه كذا.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿كذابًا﴾ تكنيبًا، وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره. وسمعني بعضهم أفسر آية فقال: لقد فسرتها فسارًا ما سمع بمثله، وقرئ*: بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله:

فصدّقتها وكذبتها ... والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتًا﴾[4] يعني: وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابًا، أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأنّ كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه: وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة، أو كذبوا بها مكاذبين، لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة، أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده. وقرئ*: كذابًا وهو جمع كاذب أي: كذبوا بآياتنا كاذبين، وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب، يقال: رجل كذاب. كقولك: حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا. أي: تكنيبًا كذابًا مفرطًا كنبه، وقرأ أبو السمال: وكل شيء أحصيناه بالرفع على الابتداء.

---

(1) ذكره ابن مردويه، والثعلبي في تفسيرهما، زيلعي 4/144.

(2) سورة القمر، الآية: 12.

(3) سورة الواقعة، الآية: 6.

(4) سورة نوح، الآية: 17.

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾.

﴿كتابًا﴾ مصدر في موضع أحصاء وأحصينا في معنى كتبنا لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل، أو يكون حالاً في معنى مكتوبًا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى: إحصاء معاصيهم. كقوله: أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض. وقوله:

فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾.

﴿فذوقوا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدّة، وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدًا على أنّ الغضب قد تبالغ وعن النبي ﷺ: هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار[1].

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾.

﴿مفازًا﴾ فوزًا وظفرًا بالبغية أو موضع فوز. وقيل: نجاة مما فيه أولئك، أو موضع نجاة. وفسر المفاز بما بعده.

حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾.

والحدائق: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر. والأعناب الكروم.

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾.

والكواعب: اللاتي فلكت ثديهنّ وهن النواهد. والأتراب اللذات.

وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾.

والدهاق: المترعة، وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطني. وقرئ: ولا كذابًا بالتشديد والتخفيف.

لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾.

أي: لا يكذب بعضهم بعضًا ولا يكذبه أو لا يكانبه. وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين.

جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾.

﴿جزاء﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله: ﴿إنّ للمتقين مفازًا﴾[2] كأنه قال: جازي المتقين بمفاز. و﴿عطاء﴾ نصب بجزاء نصب المفعول به أي: جزاهم عطاءً. و ﴿حسابًا﴾ صفةٌ بمعنى كافيًا من أحسبه الشيء إذا كفاه حق. قال: حسبي. وقيل: على حسب أعمالهم. وقرأ ابن قطيب: حسابًا بالتشديد، على أنّ الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك.

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾.

قرئ: رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن، أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر، أو هما خبران. وبالجر على البدل من ربك وبجر الأوّل ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره لا يملكون. أو هو الرحمن لا يملكون. والضمير في ﴿لا يملكون﴾ لأهل السموات والأرض. أي: ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه، أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾.

﴿يوم يقوم﴾ متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون. والمعنى: إنّ الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعةً وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض. والروح أعظم خلقًا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين. وقيل: هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقًا أعظم منه. وقيل: ليسوا بالملائكة، وهم يأكلون. وقيل: جبريل. هما شريطتان[3] أن يكون المتكلم منهم مأذونًا له في الكلام، وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[4].

إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾.

﴿المرء﴾ هو الكافر لقوله تعالى: ﴿إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا﴾[5] والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني: ﴿ما قدّمت يداه﴾ من الشر. كقوله: ﴿وذوقوا عذاب

---

(1) ذكره الثعلبي، وابن حاتم في تفسيرهما، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، زيلعي 4/145.

(2) سورة النبأ، الآية: 31.

(3) قال أحمد: يعرض بأنّ الشفاعة لا تحل على مرتكبي الكبائر من الموحدين، وقد صرح بذلك في مواضع تقدّمت له، ويتلقى ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين، ونوو الكبائر ليسوا مرتضين، ومن= = ثم أخطأ، فإنّ الله عز وجل ما خصهم بالإيمان والتوحيد وتوفاهم عليه، إلا وقد ارتضاهم لذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم﴾ فجعل الشكر بمعنى الإيمان المقابل للكفر مرضياً لله تعالى وصاحبه مرتضى.

(4) سورة الانبياء، الآية: 28.

(5) سورة النبأ، الآية: 40.

الحريق ذلك بما قدّمت أيديكم﴾[1] ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدّمت يداك بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين. وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدّمت أي: ينظر أي شيء قدّمت يداه، وموصولة منصوبة بينظر، يقال: نظرته، بمعنى: نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف. وقيل: المرء عام وخصص منه الكافر. وعن قتادة: هو المؤمن ﴿يا ليتني كنت ترابًا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف، أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل: يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يردّه ترابًا، فيودّ الكافر حاله. وقيل: الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النازعات مكية

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾.

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أي: تخرجها، من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها. وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي: تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم. ﴿غرقًا﴾ إغراقًا في النزع، أي: تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها، أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب.

وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾.

والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب. من قولك: ثور ناشط، إذا خرج من بلد إلى بلد.

وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾.

والتي تسبح في جريها فتسبق الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه، أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحطّ في أقصى الغرب، والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة.

فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾.

فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب. وقيل: النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق السهام والتي تنشط الأوهاق، والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من نكر القيامة.

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾.

و﴿يوم ترجف﴾ منصوب بهذا المضمر، و ﴿الراجفة﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها.

تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾.

﴿تتبعها الرادفة﴾ أي: الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية. ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾[3] أي: القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادًا لها وهي رادفة لهم لاقترابها. وقيل: الراجفة الأرض والجبال من قوله: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾. والرادفة السماء والكواكب لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك.

فإن قُلْتَ: ما محل تتبعها؟ **قُلْتُ:** الحال، أي: ترجف تابعتها الرادفة.

فإن قُلْتَ: كيف جعلت يوم ترجف ظرفًا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ **قُلْتُ:** المعنى لتبعثنّ في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثرن في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى ودلّ على ذلك أنّ قوله: تتبعها الرادفة، جعل حالاً على الراجفة، ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دلّ عليه.

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾.

﴿قلوب يومئذٍ واجفة﴾ أي: يوم ترجف، وجفت القلوب ﴿واجفة﴾ شديدة الاضطراب، والوجيب والوجيف أخوان.

أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾.

﴿خاشعة﴾ ذليلة.

فإن قُلْتَ: كيف جاز الابتداء بالنكرة؟ **قُلْتُ:** قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها. فهو كقوله: ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾[4].

فإن قُلْتَ: كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب؟ **قُلْتُ:** معناه أبصار أصحابها. بدليل قوله: يقولون:

يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾.

﴿في الحافرة﴾ في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت.

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 181 ـ 182.
(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم 4/146.
(3) سورة النمل، الآية: 72.
(4) سورة البقرة، الآية: 221.